باب المراسلة والمناظرة

﴿ شيخ الاسلام ابن تيمية وما قيل فيه ﴾

من الى عصره السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار المنير بمصر

سلام الله عليكم ورحمته ، ولا زلتم في نعيم مقيم

سيدي : من العجب انكم لم تعترضوا لما قاله ابن حجر الفقيه في فتاويه الحديثية من الطعن على ابن تيمية بالتفصيل الشافي المعهود من حضرتكم ومحاكمة ابن حجر فيما قاله حتى يتبين الرشد من الغي ! . وهنا نجد اكثر الجامدين من اصحاب العمائم يتمكنون بتنفير البسطاء عن مطالعة المنار لكونه ينقل عن ابن تيمية وان المنار يلقبه بشيخ الاسلام ناسياً ما قاله ابن حجر في فتاويه حيث يقول « عبد خذله الله تعالى واضله واعماه واصمه وأذله »

ونجد محب المنار الغير المطلع على اقوال ابن تيمية التي اوجبت خذلانه وانحرافه عن الطريقة الجادة يلتجىء الى السكوت . نعم ربما انه سبق لحضرتكم كلام في بعض أجزاء المنار السابقة بخصوص هذه المسألة . « لان مثل هذا مما لا يحسن سكوت حضرتكم عنه كل هذه المدة »

ولكن يتجدد قراء كثيرون في المنار في كل عام وكثير منهم لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم للاطلاع وذلك يلجئكم ان توضحوا المسألة ثانياً . وقد بلغني أن كثيرًا من العلماء العظام انتقدوا كلام ابن حجر . فهل لسيدي نقل بعض اقوالهم ؟ ولكم من الله جزيل الفضل ومنا الشكر .

ع . س (دلي — سمطرا)

(المنار) لا غرابة ولا عجب في عدم تعرضنا لما ذكرتم قبل ان نُسأل عنه ، على اننا كنا

عازمين على كتابة ترجمة لابن تيمية بعد إتمام ترجمة الغزالي . ويغلب على ظننا ان الفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى لم يطلع على كتب ابن تيمية وانما رأى ما انتقده عليه بعض معاصريه كالشيخ تقي الدين السبكي وغيره فانكر ذلك عليه ولا يبعد ان يكون بعض المفسدين قد دس في كلام ابن حجر ذلك السباب والشتم الذي يجل مثله عن مثله وذلك مما حدث كثيرا كما بينه الشعراني في كتاب اليواقيت والجواهر وغيره حتى ذكر ان بعض كتبه نسخ في عصره ودسّت فيه ضلالات كثيرة ولم يقتنع العلماء بأن تلك الضلالات من دسائس المفسدين الا بعد أن أبرز لهم ما كتبه بخطه . ويظهر انه لم يطلع أيضا على ما قاله حفاظ الحديث والعلماء والمؤرخون في الثناء على ابن تيمية بما لم يثنوا بمثله على أحد حتى شهد له معاصروه ومناظروه بالوصول الى رتبة الاجتهاد المطلق ومن كان كذلك لا بد ان يخالف غيره من المجتهدين في بعض المسائل . ويعز على الفقهاء المقلدين ان يوجد في عصرهم من يخالف أئمتهم بل من دون أئمتهم ممن يجلون من الميتين حتى كأن الموت يجعل العالم معصوما !. ولذلك ترى ان سبب قيام الشيخ كمال الدين الزملكاني والشيخ نصر بن المنجي علي ابن تيمية هو إنكاره على الشيخ محي الدين بن عربي، وسبب قيام ابي حيان عليه هو إنكاره على سيبويه وتخطئته له . فهؤلاء الثلاثة والشيخ تقي الدين السبكي هم اعظم العلماء الذين انكروا عليه في عصره ومن اسباب حنقهم عليه تشدده في الانكار عليهم هم فيما انتصروا به لابن عربي وسيبويه ولكن كل واحد منهم قد اثنى عليه ثناء عظيما قبل وقوع النفور بينهم كما سيأتي

وقد ألف بعض العلماء كتبا خاصة في الثناء على ابن تيمية والانتصار له، منها (القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) للعلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس . ومنها (جلاء العينين في محاكمة الاحمدين) اي احمد بن تيمية واحمد بن حجر واننا ننقل عن كل منهما طائفة من القول عن العلماء في ترجمة ابن تيمية، قال صاحب القول الجلي في أول كتابه ما نصه :

« ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمئة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبرع في التفسير وأفتى ودرس وله

نحو العشرين، وصنف التصانيف وصار من اكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين . وكان يتوقد ذكاء وسمع من الحديث أكثره، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه . وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير، واما معرفته بالملل والنحل فلا أعلم له فيها نظيرا، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جدا ومعرفته بالتفسير والتاريخ فعجب عجيب . انتهى ملخصا من كلام شيخ الاسلام أبي عبد الله الذهبي فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

قال الحافظ الذهبي الدمشقي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر هو من أهل الاستقراء التام في نقده الرجال وتبعه على ذلك الحافظ السيوطي فيما نقله الحافظ ابن ناصر الدين : ابن تيمية أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم

وقال الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي في فتاواه في حديث « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وفي حديث « كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية في وضع اللفظين وناهيك به اطلاعا وحفظا أقر له بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا

وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة

وقال حافظ الاسلام الحبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الزكن عبد الرحمن المزي الشافعي فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين : ما رأيت مثله يعني ابن تيمية ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لهما منه . اه

وقد تقدم عن الحافظ الذهبي نحوه وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعبين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي

وقال الشيخ الإمام بقية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه : كنت أظن ان الله تعالى ما بقي يخلق مثلك . وقال أيضا : رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد. ذكره الحافظ المذكور

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء وممن يخطىء ويصيب ولكن خطأه بالنسبة الى صوابه كنقطة في بحر لجي وخطؤه أيضا مغفور له لما صح في صحيح البخاري « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم . وما قاله في غاية الحسن والحافظ المذكور ثقة حجة باتفاق وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جدا فلا التفات الى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني. نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذي بسببه ومع انه خالف الائمة الاربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسيق فافهم

(فان قلت) ما ذكره الامام الحافظ ابن كثير مبني على ان الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد وأنى له بهذه المرتبة وقد انقطع الاجتهاد من زمان طويل!! (قلت) وقد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء منهم الامام أبو عبد الله الذهبي فيما ذكره ابن ناصر والحافظ ابن حجر كما سيأتي والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ فيما أحفظ ولم يتفرد بمسئلة منكرة قط وان كان قد خالف الائمة الأربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ومن اشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور وقد قال به قبله أبو عبد الله ابن بطة الحنبلي في الابانة الصغرى وسنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى

وقال الحافظ ابن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الاسلام الحافظ الهمام ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي مانصه :ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الاصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا أفتى بسفك

دمه مع شدة المتعصبين عليه رحمه الله من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالاسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الاسلام والدعاء الى الله في السر والعلانية فكيف لاينكر على من أطلق عليه انه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الاسلام الكفر وليس في تسميته بذلك مايقتضي ذلك فانه شيخ الاسلام بلا ريب والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرئ منه ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب فالذي أصاب فيه وهو الاكثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه لايقلد فيه أي كمسئلة الزيارة والطلاق بل هو معذور لان أئمة عصره شهدوا بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصبين عليه والقائمين في ايصال الشر اليه وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني يشهد له بذلك، وكذا الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره. ومن أعجب العجب ان هذا الرجل كان اعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة وفتاواه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فياقرة أعينهم اذا سمعوا تكفيره وياسرورهم اذا رأوا من يكفر من لايكفره. فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل ان يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ماينكر فيحذر من ذلك على قدر قصد النصح ويثني عليه بقضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء، ولولم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب الا تلميذه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظمة منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة. فالذي يطلق عليه مع هذه الاشياء الكفر أو على من سماه شيخ الاسلام لايلتفت اليه ولا يعول في هذا المقام عليه بل يجب رده عن ذلك الى أن يراجع الحق ويذعن للصواب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل حسبنا الله ونعم الوكيل

وقال شيخ الاسلام صالح ابن شيخ الاسلام عمر البلقيني رحمه الله تعالى فيما كتبه على الكتاب المذكور — :ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي في ثناء الائمة عليه بان الحافظ المزي لم يكتب لفظة شيخ الاسلام الالأبيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابي عمر فلولا ان ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ماقرن ابن السبكي أباه معه في هذه المنقبة التي نقلها، ولو كان ابن تيمية مبتدعا أوزنديقا مارضي أن يكون أبوه قرينا له .نعم وقد ينسب الشيخ تقي الدين لاشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألتي الزيارة والطلاق وافرد كلا منهما بتصنيف وليس في ذلك مايقتضي كفره ولا زندقته أصلا، وكل أحد يوخذ من قوله أويترك الا صاحب هذا القبر » (١) والسعيد من عدت غلطاته ، وانحصرت سقطاته، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين انه لم يصدر ذلك تهورا وعدوانا، حاش لله بل لعله لرأي رآه واقام عليه برهانا ، ولم نقف الى الآن بعد التروي والفحص على شيء يقتضي كفره ولا زندقته، وانما وقفت على مارده على أهل البدع والاهواء أوغير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعليّ مرتبته في العلم والدين .وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا — وفي رواية — حق كبيرنا » وكيف يجوز ان يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه انتهى

قلت وسنذكر ان شاء الله تعالى قريبا مايكون صريحا في تنزيهه عما نسب اليه من التشبيه والتجسيم

وقال قاضي القضاة عبد الله التهقي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي فيما كتبه على الكتاب المذكور : ان الشيخ تقي الدين كان على ماتقل الينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي صارت تصانيفه في الآفاق عالما متفننا مقللا من الدنيا معرضا عنها متمكنا من إقامة الادلة على الخصوم وحافظا

(١) حكاية لكلمة الامام مالك التي كان يقولها في الحرم المدني ويشير الى القبر الشريف

للسنة عارفا بطرقها عارفا بالاصلين أصول الدين وأصول الفقه قادرا على الاستنباط في تخريج المعاني لا يلومه (لله لا تأخذه) في الله لومة لائم على أهل البدع المجسمة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم (قال) فمن كان متصفا بهذه الاوصاف كيف لا يلقب بشيخ الاسلام بأي معنى أريد منه؟!؟ (قال) وإنما قام عليه بعض العلماء في مسألتي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه شهوده . والمسألتان المذكورتان ليستا من أصول الاديان وإنما هما من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على ان المخطيء فيها مجتهد يثاب لا يكفر ولا يفسق . الخ ما قال

وقال شيخ الاسلام العيني الحنفي فيما كتب على الكتاب المذكور: وما هم أي المنكرون على ابن تيمية رحمه الله تعالى الا صلقع بلقع سلقع ، والمكفر منهم صلعمة بن قلعمة وهيان بن بيان وهي بن بيّ وضل ابن ضل وضلال ابن التلال . ومن الشائع المستفيض ان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية من شمّ عرانين الافاضل ، ومن جمّ براهين الاماثل ، (قال) وهو الذابّ عن الدين ، طعن الزنادقة والملحدين ، والناقد المرويات عن النبي سيد المرسلين ، والمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال انه كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسبه الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق ، ولكن بحثه فيما صدر عنه في مسألتي الزيارة والطلاق ، عن اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور ومثاب ، وليس فيه شيء مما يذم أو يعاب ، (قال) ولا ريب انه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من فقهاء الأنام ، فاذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخا للمسلمين يكون شيخا للاسلام .

وقال شيخ الاسلام البساطي المالكي . واما قول من قال انه يعني ابن تيمية كافر وأن من قال في حقه انه شيخ الاسلام كافر فهذه مقالة تقشعرّ لسماعها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ، ويضحك ابليس اللعين بها ويشمت ، وتنشرح بها أفئدة المخالفين وتسمت ، ثم يقال كيف لو فرضنا انك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام الثاني وكيف تصح لك هذه الكلمة المتناولة لمن سبقك ولمن

هو آت بعدك إلى يوم القيامة ؟ وهل يمكنك ان تدعي ان الكل اطلعوا على ما اطلعت انت عليه ؟ وهل هذا الا استخفاف بالحكام ، وعدم مبالاة بنبي الايام ، والواجب ان يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه لا يخرج به شرعا عن العهدة بأن كان واهيا برح به تبريحا يردع أمثاله عن الاقدام على اعراض المسلمين . اه

(قلت) فتأمل رعاك الله كلام هؤلاء الاعلام ، في مدح هذا الامام ، فكيف ينسب إلى بدعة التجسيم أو يعاب بشيء غير ذلك أو يلام ! »

(المنار) هذا ما أورده الشيخ صفي الدين الحنفي البخاري في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في أول كتابه (القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) ويليه فصل في عقيدته التي هي عقيدة سلف الأمة أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم . واما السيد نعمان خير الدين الآلوسي فقد جاء في كتابه (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) بترجمة أوسع وأكثر نقلا عن كبار العلماء والمحافظ في الثناء عليه والاعتراف له بمشيخة الاسلام ،

قال بعد ترجمة بليغة ملخصة من كلام طائفة من الحفاظ والمؤرخين ما نصه:

« قال الذهبي وما ابعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمس مئة مجلد . وترجمه في معجم شيوخه بترجمة طويلة منها قوله : شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علما ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويرا إلهيا وكرما ونصحا للامة وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال ، وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال ميال ، واستنبط منها اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين ، واتقن العربية اصولا وفروعا ، ونظر في العقليات وعرف افعال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأوذي في ذات الله من المخالفين ، واخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله

تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكبت اعداءه ، وهدى به وجالا كثيرة من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته ، واحيا به الشام ، بل الاسلام ، بعد أن كاد يتثلم خصوصا في كائنة التتار وهو اكبر من ان ينبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت بعيني مثله وانه ما رأى مثل نفسه لما حنثت اه

وقال الحافظ ابن كثير : وفي رجب سنة سبع مئة واربع راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد التاريخ وأمر أصحابه وتلامذته بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط تزار ويندرها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما . وبهذا وأمثاله ابرزوا له العداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي واتباعه . فحسد وعودي ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكروه واكثر ما نالوا منه الحبس مع انه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما اخذوه وحبسوه بالجاه . اه

قيل من جملة اسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعي ويطلب الامارة فلقي عليه أعداؤه طريقا من ذلك ، فحسنوا للامراء حبسه لسد تلك المسالك . وكتب الشيخ كمال الدين الزملكاني : كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه اشياء ولا يعرف انه ناظر احدا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علم الشرع او غيره الا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها

(قلت) ورأيت في نثر الدر الذائب في الافراد والغرائب من كتاب الاشباه والنظائر النحوية للامام السيوطي عليه الرحمة ما نصه : جواب سؤال سائل عن «لو» لسيدنا وشيخنا الامام العالم الاوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة امام الأئمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين اوحد علماء الدين بركة الاسلام محجة الاعلام برهان المتكلمين قامع المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة ودامت به على اعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديه المحجة تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن

عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني اعلى الله تعالى مناره وشيد من الدين اركانه

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة الله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة ... أنواره اربت على الفجر

نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني : بسم الله الرحمن الرحيم، نقلت من خط الحافظ علم الدين البرزالي قال سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة القدوة الحافظ الزاهد العابد الورع امام الأئمة خير الأمة مفتي الفرق علامة الهدى ترجمان القرآن حسنة الزمان عمدة الحفاظ فارس المعاني والالفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة ناصر السنة قامع البدعة تقي الدين ابو العباس احمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ادام الله تعالى بركته ورفع درجته : الحمد لله الذي علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ، واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له الباهر البرهان ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الانس والجان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يرضى به الرحمن ، سألت وفقك الله تعالى عن معنى حرف « لو » وكيف يتخرج قول عمر رضي الله عنه « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » على معناها المعروف وذكرت ان الناس يضطربون في ذلك واقتضيت الجواب اقتضاء أوجب أن اكتب في ذلك ما حضرني الساعة مع بعد عهدي بما يلقي مما قاله الناس في ذلك وانه لا يحضرني الساعة ما اراجعه في ذلك فأقول . اه بحروفه . ثم ساق الامام السيوطي آخر الجواب الى نهايته، واقر المترجم على ترجمته، فمن اردته فارجع الى الاشباه والنظائر ، فان فيه جلاء الابصار والبصائر ، (*

وكتب الحافظ ابن سيد الناس : ألفيته ممن ادرك العلوم حظا، وكاد يستوعب

*) وفي هامش الكتاب عند هذه العلامة مانصه : وكذا المدقق ابن هشام في شرح الشذور نقل عنه بعض الاقوال النحوية معبرا عنه بالامام العلامة وكذا غيرها ممن سلمت له الامامة

السنن والآثار حفظا ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، وان اقى فى الفقه فهو مدرك غايته ، او بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته ، برز في كل علم على أبناء جنسه ، ولا رأت عيني مثل نفسه ،

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه : وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله تعالى . غير انه يعترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي . وأما التفسير فسلم اليه . وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير اه من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة نحوا من اربعة كراريس . وله التآليف العظيمة في كثير من العلوم وما يعد ان تصانيفه تبلغ خمس مئة مجلد . وله الباع الطويل فى معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل ان يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الاربعة . وقد خالف الاربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة . وبقي سنين يفتي بما قام (عليه) الدليل عنده . ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية وكان دائم الابتهال كثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش ، له اوراد واذكار يديمها لا يداهن ولا يحابي ، محبوبا عند العلماء والصلحاء والامراء والتجار والكبراء . وصار بينه وبين معاصرية وقعات مصرية وشامية لبعض مسائل اقى فيها بما قامت عنده الادلة الشرعية : واجتمع بالسلطان محمود غازان السفاك المقتل وتكلم معه بكلام خشن ولم يهبه ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ، ودعا دعاء منصف اكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه اه ملخصا واطال في ترجمته

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي في حقه بعد ثناء طويل جميل مالفظه : « فوالله ثم والله لم ير تحت اديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما وحلما وقياما في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته . أصدق الناس عقدا واصحهم عزما وانفذهم واعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة ، واسخاهم كفا

وأكملهم اتباعا لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية وسننها من أقواله وافعاله الا هذا الرجل» يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة . اه

وقال في الشذرات عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وقد سئل عن الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته ؟ قال « رأيت رجلا سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء » فقيل له فلم لا تتناظران ؟ قال « لانه يحب الكلام وأحب السكوت »

وقال ابن مفلح في طبقاته : كتب العلامة تقي الدين السبكي الى الحافظ الذهبي في امر الشيخ تقي الدين بن تيمية ما نصه : « فالمملوك يتحقق قدره وزخارة بحره وتوسعته في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه بلغ في ذلك كل المبلغ الذي يتجاوزه الوصف . والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي اكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله تعالى له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الاوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان » اه

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته المطنبة : ان الفتنة لما ثارت على الشيخ ابن تيمية من جهة بعض كلماته تعصب له القاضي الحنفي ونصره وسكت القاضي الشافعي ولم يكن له ولا عليه . وكان من اعظم القائمين عليه الشيخ نصر بن المنبجي لانه كان بلغه ان ابن تيمية انه يتعصب لابن عربي فكتب يعاتبه على ذلك فما أعجبه لكونه بالغ في الحط على ابن عربي وتكفيره فصار هو يحط على ابن تيمية ويغري (به) بيبرس الجاشنكير وكان بيبرس يفرط في محبته ويعظمه . واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين بن الحريري انتصر للشيخ ابن تيمية وكتب في حقه محضرا بالثناء عليه بالعلم والفهم وكتب به في خطه ثلاثة عشر سطرا من جملتها « إنه منذ ثلاث مئة ما رأى الناس مثله » اه

ونقل الامام المسقلاني ايضا عن الحافظ الذهبي انه قال حضر عند شيخنا ابو

حيان المفسر فقال ما رأيت عيناي مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر انه نظمها بديهة وانشده إياها وهي :

لما أتانا تقي الدين لاح لنا ... داعٍ الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حِبرا ... بحر تقاذفُ من امواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيمٍ اذ مضت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره اندرست ... واخمد الشر إذ طارت له شرر
يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ ... هذا الامام الذي قد كان ينتظر

يشير بهذا الى انه المجدّد . وقد صرح بذلك ايضا العماد الواسطي . ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فأغلظ الشيخ ابن تيمية القول في سيبويه فناظره ابو حيّان بسببه ثم عاد ذامًّا له وصير ذلك ذنبا لا يغفر (ويقال) إن ابن تيمية قال له : ما كان سيبويه نبي النحو ولا معصوما بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما تفهمها انت . فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذا في مختصره النهر اه

وقد ترجمته علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة واثنوا عليه بالثناء الحسن وذكروا له كرامات عديدة ومواظبة على الطاعات والعبادات وتجنبا عن البدع وشدة اتباع للسنن وطريق السلف الصالح وانه لم يتزوج حتى مات

وكان ابيض اللون اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره إلى شحمة اذنيه عيناه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت . وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمس وتسعين في طبقاته ، وفصل ايضا سيرته واحواله والثناء عليه

وقد توفي سنة سبع مئة وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة الحرام في السجن! فأخرج الى جامع دمشق فصلوا عليه فكان يوما مشهودا لم يعهد بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاء شديدا وتبركوا بماء غسله واشتد الزحام على نعشه ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلوا عليه مرارا . وحزر من حضر جنازته بمئي الف

ومن النساء بخمسة عشر الفا وختمت له ختمات كثيرة ورثي بقصائد بليغة

(المنار) بعد ان اورد المؤلف هنا مرثية الشيخ عمر ابن الوردي احدى تلك المراثي التي يشنع فيها على من آذوه وحبسوه قال :

(قلت) وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يبتلون في الله تعالى و يصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون وأهل الخير في الامم السابقة يقتلون ويحرقون وينشر احدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه ولولا كراهة التطويل لذكرت من ذلك ما يطول : وقد سمّ ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسمّ الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وصلب حبيب ابن عدي . وقتل الحجاج عبد الرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن جبير وغيرهما . وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربع مئة سوط ثم قتله ، وسعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مئة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شاتٍ وألبس جبة صوف ، وحبيب بن عبدالله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مئة سوط وذلك انه حدث عن النبي صل الله عليه وسلم انه قال «اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا » فكان عمر اذا قيل « أبشر » قال « كيف بحبيب على الطريق » وابو عمرو ابن العلاء ضربه بنو أمية خمس مئة سوط ، والامام موسى الكاظم سجنه هارون حتى مات ، والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد أن ضرب وقيل او جر سمًّا ، والامام مالك بن أنس ضربه المنصور ايضا سبعين سوطا في يمين المكره وكان مالك يقول لا يلزمه اليمين . والامام احمد امتحن وسجن وضرب في أيام بني العباس ، والشيخ ابن تيمية في هؤلاء الأئمة أسوة . ولو اردنا استقصاء ما ذكره معاصروه من الثناء عليه و بيان سيرته ومفصل أحواله لافضى بنا إلى الطول ، والقلم ـ لا ملت ـ ملول ، ويكفي من القلادة ما احاط بالجيد .

(المنار) وعقد بعد هذا فصلا في تبرئة الشيخ مما نسب اليه ، وثناء المحققين المتأخرين عليه . فنقل عن صوفي الفقهاء وفقيه الصوفية الشيخ ابراهيم الكوراني المدني الشافعي وعن علامة العراق الشيخ علي السويدي البغدادي الشافعي ، وعن والده

السيد محمد الآلوسي المفتي ، وعن عالم بلد الله الحرام الملا علي الهروي ، وعن امير العلماء وعالم الامراء ابي الطيب حسن صديق خان الحسيني البخاري . ثم عقد فصولا أخرى ذكر فيها كل ماقاله العلامة ابن حجر الهيتمي وبين الحق فيه فليراجعه من شاء . فمن اشتبه في مسألة معينة من المسائل التي انتقدت على ابن تيمية ولم يتمكن من مراجعتها في كتاب جلاء العينين أو راجعها وبقي في نفسه شبهة منها فله ان يسألنا عنها إن احب . واننا كنا نعتقد ان ابن تيمية وصل الى درجة الاجتهاد المطلق قبل ان نطلع على قول العلماء في ذلك بل نعتقد انه لا نظير له في علماء الاسلام قط الا تلميذه ووارث علومه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ونفع المسلمين بعلومهما

الحجاز بعد الدستور (*

بعث الدستور بعد ان قبر ، وبذلك كذب الله اعداء الاسلام الزاعمين ان الشورى غير ملائمة لروح الاسلام ، فهل سبق ان رأوا أمة قد أكل عليها الاستبداد وشرب زمنا طويلا ، فما هي الا عشية أوضحاها حتى استحالت الصهباء فاصبح افرادها بحمد الله اخوانا ، لا فضل لاحمر على اسود إلا بتقوى الله ، قد ألف الله بين قلوبهم ، لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم

كذّب الله بقيام الدستور زعم اولئك كما ايد به قول القائلين بسداد نيه مولانا السلطان وفائق حكمته ووافر عقله وقوة ادراكه زاده الله توفيقا اذ لم يكن من احد من قادة الامم ما كان منه فله الشكر والدعاء اذ صان كيان الامه ودماءها وأموالها وشرفها فالملكة مدينة له بما فعل

وقد شرق الاعداء بما رأوا من اتحاد عناصر المملكة ، ولم يرق في اعينهم فقاموا بما قاموا به ، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وابدت ظبابها الناقاء ، وماتخفي صدورهم اكبر . قل موتوا بغيظكم .

*) لأحد فضلاء المسلمين في سنغافوره (س . س . ي)